

## توطئة . مفهوم الرؤية السردية:

يُطلق مصطلح الرؤية السردية كما يشير "روبارت شولز" Robert Schole " بأنه " الطريقة التي تروى بها القصة، ذلك أنّ الموقف الذي ينمو لدينا من الحوادث المقدمة وفهمنا لتلك الحوادث، يوجّهها الكاتب عادة من خلال استخدامه الفني لوجهة نظره. (1). و قد تشعب مفهوم هذا المصطلح، ففهمه فريق من النقاد على أنه فلسفة الروائي، أو موقفه الاجتماعي، أو السياسي، أو الثقافي ورأى فريق آخر أنّ المصطلح يعني في مجال النقد الروائي "العلاقة بين المؤلف والراوي، وموضوع الرواية. (2).

ولاشك أنّ كلّ روائي يهدف - واعياً أو غير واعٍ - إلى طرح نسقٍ فكريٍّ معينٍ يعكس موقفه من الكون، والإنسان، والحياة. ومن هنا يُشكل عناصر الرواية؛ ليصل في نهاية المطاف إلى رؤية سردية معينة، تمثل المثير الأول الذي استثاره؛ لكي يكتب معبراً عما يعتقد، آملاً في أنّ تصل أفكاره، ومعتقداته إلى قرائه، لذا تُعدّ الرؤية السردية موقفاً جمالياً من العالم، تصدر عن تصوّر الروائي لعمله، علاقات الواقع والصور التي من الممكن أن تكون عليها، في المستقبل، وكلّما كانت الرؤية أكثر عمقاً وحساسية، كلّما كانت أقدر على كشف القوى التي تعوق حركة الواقع، وتُظهر إنسانية الإنسان. لقد استأثرت مقولة الرؤية السردية، بأهمية كبيرة في الدراسات النقدية (3)، إذ عرفت هذا البنية بعدة تسميات (\*)، ورغم اختلافها إلا أنّها تركز على السارد، الذي من خلاله تتحدّد رؤيته إلى العالم الذي يرويه بشخصياته، وأحداثه، وعلى الكيفية التي من خلالها أيضاً تبلغ أحداث الرواية إلى المسرود له، ومع وجود هذا الكم من التسميات سيقصر البحث علي تسمية الرؤية السردية وسيعمل على مستواها.

(1) روبرت شولز: عناصر القصة، ترجمة محمود الهاشمي، دار طلاس، ط1، دمشق، سوريا، 1988م. ص44.

(2) انجيل بطرس سمعان: دراسات في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، مصر، 1987م. ص91.

(3) حميد لحميداني: الرؤية السردية مفهومها أنواعها. الشبكة الأنترنات.

<http://www.mnaabr.com/vb/showthread.php?489>.

(\* ) لقد تعددت تسميات مصطلح الرؤية لذا وجد من ينعتهاب بوجهة النظر، أو المنظور، أو البؤرة، أو التنبير، تبعاً لتباين تصورات النقاد لها.

تعني الرؤية السردية كما يقول "عبد الله إبراهيم" "الطريقة التي عبر بها السارد عن الأحداث عند تقديمها فتتجسد من خلال منظور الراوي لمادة القصة، فهي تخضع لإرادته، ولموقفه الفكري، وهو يحدد بواسطتها أيّ بمميزات الخاصة التي تحدّد صيغة الراوي الذي يقف خلفها".(1).

تتداخل الرؤية والسارد، ولا يمكن لأحدهما الانفصال عن الآخر، أو النهوض دونه، وهو ما يتجسد حقيقة ضمن الرواية، أين تعلن الرؤية عن موقف السارد الخاص إزاء الحكاية المتخيلة، والذي ينحو إلى التأثير على القارئ دون شكّ.

و يُعرّف السارد حسب رأي "عبد الله إبراهيم" بأنه: "الشخص الذي يروي القصة. وهو الذي يأخذ على عاتقه سرد الحوادث، و وصف الأماكن، وتقديم الشخصيات، ونقل كلامها والتعبير عن أفكارها ومشاعرها، وأحاسيسها".(2). فالسارد إذاً بهذه الطريقة شخصية عادية، متخيلة تتباعد عن الروائي الذي أنشأها، كما أنشأ باقي شخصيات الرواية وإنّ عمد إلى إعطائها دوراً مميزاً من خلال تقديم عالم القصة المتخيلة، يشير "جنيت" إلى هذا لقد كانت الرواية التقليدية تعتمد على الراوي، الذي يتدخل بشكل مكثف داخلها حيث يفرض تدخلاته وتعليقاته، يتحكّم في مصائر شخصوه".(3). لقد جاءت آراء الروائي، والناقد الإنجليزي "هنري جيمس" موضحة مع مطلع القرن العشرين، حين دعا إلى "إقصاء السلطة الفوقية للراوي العليم، وإلى ضرورة مسرحة الأحداث بتحويل الرواية إلى خلية يؤر بدل المركزية الواحدة".(4). فجاءت دراسات بعد "بيرسي لوبوك" (lubbock percy) في مجال البحث عن الرؤية السردية كأعمال "كلينث بروكس" "clean.brooks" و "روبرت بن وارين" "robert.ben Warin" و"ف.ك ستانسل" (f.k.stansel)

(1) عبد الله إبراهيم: المخيل السرد، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1990 م. ص ص 61.62.

(2) المرجع نفسه، ص 61.

(3) جيرار جنيت: خطاب الحكاية، ص 148.

(4) عبد الله إبراهيم: المرجع نفسه، ص 166.

و"نورمان فريدمان" Norman Friedman " و"وارين بوث" wayne.booth " و"بريل رومبرك" b.romberg " وقد وصلت دراسة الرؤية السردية ذروتها في عمل "جينت" الذي استمد مقولة المظهر من "تودوروف"

كما ميّز "بيرسي لوبوك" في كتابه: "صنعة الرواية" بين السرد، والعرض مؤكداً أنّ "في العرض يتحقّق حكي القصة، نفسها بنفسها، وأنّ السارد راوٍ عالم بكلّ شيء". (1). لكن لا يقف "لوبوك" عند حدود الوصف، بل يتجاوزه إلى الحكم على المنظور الذي مارسه "جيمس"، وذلك بانحيازه إلى جانب السارد الممسرح في القصة يشير "سعيد يقطين" إلى هذا قائلاً: "عندما يرى الحدث، من خلال ذهن الشخص الممسرح بالضمير الغائب فإنّ القارئ في هذه الحال يجد نفسه واقعاً في داخل القصة، ونرى الأحداث من خلال هذا الذهن في الوقت ذاته تجري فيه هذه الأحداث". (2).

مما لا شكّ فيه أنّ أعمال "جيمس" فجّرت وعياً جديداً، بأساليب الصياغة لدى النقاد واختلاف طرق تقديم المادّة القصصية، فقد تعاقبت بعدها الأبحاث حول قضية الرؤية السردية، لذا تناولها بالتنظير، والتحليل، والتطبيق، كثيرون منهم الأمريكيون أمثال: "سيمور شاتمان"، "seymour chatman" والألمان أمثال: "ستزيل و كايزر" والروس أمثال: "ميخائيل باختين وفولوزينوف"، والفرنسيون أمثال: "تودوروف، وجنيت"، و"جون بويون" " jean pouillon" الذي سيَعتمدُ البحثُ تصوره انطلاقاً من أنموذجه المبسط، في اختزاله للرؤيات اختزالاً دقيقاً، إذ الرؤية عنده ثلاثة أنواع فقط، وقد كان لتصنيفه هذا الأثر الكبير في إعطاء هذه البنية السردية أبعاداً جديدةً، اتضح من خلالها المفهوم وجعله أكثر قبولاً؛ لأخذ مكانه المركزي، ضمن تحليل البنيات السردية.

(1) بيرسي لوبوك: صنعة الرواية، (ترجمة عبد الستار جواد)، دار الرشيد، ط1، بغداد، العراق، 1981م. ص125.

(2) سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص285.